

من أسباب هلاك الأمم السابقة

الواردة في السنة النبوية

أ.د. مهدي بن محمد رشاد الحكمي^(*)

• المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين
سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد،،،

فإن السنة النبوية فن واسع العلوم، متنوع المعارف، يمكن للمغمس فيه
أن يلتقط الجواهر، ويكتنز الكنوز، وقد سهل الله تعالى الوصول إليها بواسطة
علماء اتخذوا خدمتها عبادة، ومنهجًا في حياتهم، فوصلت إلينا كاملة
بشمولها، وهي مع هذا مشمولة بأية واحدة من القرآن الكريم هي قوله
تعالى: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾^(١).

ومما حوته السنة النبوية الأخبار عن الأمم السابقة من تكذيب لأنبيائهم
- عليهم الصلاة والسلام - ونزول الهلاك بهم، فحذرنا رسولنا - صلى الله
عليه وسلم - نحن أمة الإسلام - من ولوج ما ولجوه، وسلوك ما درجوه فإنه
الهلاك والدمار.

وقد ذكرت السنة النبوية عددًا من الأمور التي مارسها من قبلنا فحلّ بهم
الهلاك بسببها، لمخالفتها منهج الله تعالى الذي أمرهم به ووضحه لهم
أنبياءهم، وكان ذلك منهم إعراضًا عن أمر الله، واستبدالًا له بغيره مما أنشأته
عقول علمائهم وأشرافهم.

(*) أستاذ الحديث المشارك - قسم الثقافة الإسلامية - كلية التربية - جامعة جازان

- المملكة العربية السعودية

(١) الآية رقم: ٧ من سورة الحشر.

ومع هذا التحذير الشديد منه صلى الله عليه وسلم فقد أخبر بأن أمته ستتبعهم ففي الحديث: "لنتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم، قلنا: يا رسول الله اليهود والنصارى، قال: فمن" (١).

وكنّت - بحسب التخصص - أتبع الأحاديث التي ورد فيها ذلك، فاجتمع لدي - حسب جهدي - عدد منها رأيته صالحاً لجمعه في مكان واحد للاستفادة منه وإن كان عددها قليلاً لكنها تعطي دلالات واضحة إلى مفاصل هيكل الأمة الذي تقوم عليه، وأنه إذا أصابه الخل والخلل فقد أصيبت الأمة في مقتل، ورأيت أن اقتصر على ما ورد منها بطريق مقبول، (صحيح أو حسن) فكان أكثرها في الصحيحين أو أخرجه بعض من ألف في الصحيح كابن حبان وابن خزيمة والحاكم وغيرهم ولذا لم أتوسع في تخريج الحديث كثيراً.

ولكونها مبنوثة في أبواب متفرقة من كتب السنة رأيت ترتيب هذا البحث بعد هذه المقدمة على ستة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: من كتاب العلم.

المبحث الثاني: من كتاب المناسك.

المبحث الثالث: من كتاب الحدود.

المبحث الرابع: من كتاب البر والصلة.

المبحث الخامس: من كتاب اللباس والزينة.

المبحث السادس: من كتاب الزهد.

(١) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب قول النبي صلى الله عليه وسلم - لنتبعن

سنن من كان قبلكم: ٦٠/١ ح (٧٣٢٠).

ثم جعلت له خاتمة ذكرت فيها خلاصة ما توصلت إليه، وجعلت عنوانه: (من أسباب هلاك الأمم السابقة الواردة في السنة النبوية) هذا وقد رأيت الاختصار في شرح هذه الأحاديث والاقتصار على ما وجدته من شرح للعلماء السابقين الذين تعرضوا لها في كتبهم، وذلك خشية الإملال، ولكون المجالات العلمية المحكمة تطلب صفحات محددة للنشر.

هذا وأسأل الله تعالى لي ولجميع المسلمين القبول والمغفرة والرحمة، والحمد لله رب العالمين.

• المبحث الأول: من كتاب العلم:

١ - عن عبد الله^(١). بن عمرو - رضي الله عنهما - قال: هجرت^(٢). إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوماً قال فسمع أصوات

(١) هو الصحابي الجليل المشهور أبو محمد عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي، أسلم قبل أبيه، وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - كثيراً، اختلف في سنة وفاته ومكانها، ف قيل سنة ٦٥هـ بالشام وقيل غير ذلك.

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر: ١٧٦/٦ ت (٤٨٣٨)، مطبعة الفجالة الجديدة، ط ١ سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، والاستيعاب بهامش الإصابة: ٣٣٨/٦ ت (١٦١٨).

(٢) هجرت: من التهجير وهو التبكير إلى كل شيء والمبادرة إليه، وهي لغة حجازية.

النهاية: في غريب الحديث والأثر لابن الأثير: ٢٤٦/٥ مادة (هجر)، المكتبة الإسلامية القاهرة - مصر.

رجلين اختلفا في آية، فقال: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب" (٢٠).

قلت: ورد هذا الحديث مطولاً ومختصراً، ومجموع رواياته يفيد أن رجلين تخاصما عند بيت الرسول - صلى الله عليه وسلم - وتجادلا في

(*) تخريج الحديث:

أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب العلم: باب النهي عن اتباع متشابه القرآن: ٢٠٥٣/٤: ح (٢٦٦٦) طبعة دار الفكر - الطبعة الثانية - بيروت، سنة ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م. والنسائي في سننه الكبرى: كتاب فضائل القرآن: باب المراء في القرآن: ذكر الاختلاف... ٣٣/٥: ح (٨٠٩٥) دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى سنة ١٤١١ هـ، ١٩٩١ م.

وابن ماجة في سننه: المقدمة: باب في القدر: ٣٣/١: ح (٨٥) نحوه وفيه (فقال عبد الله بن عمرو: ما غبطت نفسي بمجلس تخلقت فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - ما غبطت نفسي بذلك المجلس وتخلفي عنه) ١ هـ.

إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان سنة ١٣٩٥ هـ.

وقال البوصيري في مصباح الزجاجة: (هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات) ١ هـ.

مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه: كتاب السنة: باب في القدر: ٥٣/١: ح (٢٨) دار الجنان للطباعة - بيروت - لبنان: الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م دراسة وتقديم كمال يوسف الحوت.

وأحمد في المسند: ١٩٥/٢، ١٩٦ بمعناه مطولاً وفيه (إنما ضلّت الأمم...) وبعده في رواية أخرى مختصرة وفيه "يتنازعون في القدر هذا ينزع آية وهذا ينزل آية... فذكر الحديث) طبعة الكتب الإسلامي - ط ٤ سنة ١٤٠٣ هـ.

والبغوي في شرح السنة: كتاب العلم: باب الخصومة في القرآن: ٢٦١/١: ح (١٢١) مطولاً... طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - لبنان: الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.

معنى آيات من القرآن الكريم تتحدث عن القدر، وكل واحد منهما يستدل على خصمه بآية تدل على فهمه، حتى علت أصواتهما، فطلع عليهما الرسول - صلى الله عليه وسلم، فنهى عن ذلك، وقد كان مغضباً يرى الغضب في وجهه، ومما جاء في الحديث أن عبد الله بن عمرو - رضي الله عنهما - لم يكن حاضراً وقتذاك، إذ غبط نفسه على تخلفه عن هذا المجلس خاصة، فيكون سمع هذه الحادثة ممن حضرها والله أعلم.

قال القرطبي: (هذا الاختلاف لم يكن اختلافاً في القراءة لأنه - صلى الله عليه وسلم - قد سوّغ أن يقرأ القرآن على سبعة أحرف) ولم يكن أيضاً في كونها قرآناً؛ لأن ذلك معلوم لهم ضرورة، ومثل هذا لا يختلف فيه المسلمون ولا يقرون عليه فإنه كفر، فلم يبق إلا أنه كان اختلافاً في المعنى، ثم تلك الآية يحتمل أن كانت من المحكمات الظاهرة المعنى فخالف فيها أحدهما الآخر، إما لقصور فهم، وإما لاحتمال بعيد، فأنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك إذ قد ترك الظاهر الواضح، وعدل إلى ما ليس كذلك، ويحتمل أن كانت من المتشابهة فتعرضوا لتأويلها فأنكر النبي - صلى الله عليه وسلم - ذلك في كون حجة لمذهب السلف في التسليم للمتشابهات وترك تأويلها^(١). أ.هـ.

قلت: وقد بين لنا - رسولنا - صلى الله عليه وسلم - الطريقة المثلى عند الاجتماع لقراءة القرآن، وتعلمه، وتفهم معانيه وأحكامه، وذلك حينما تكون القلوب متقاربة، والأرواح متألّفة، فإذا شعر المجتمعون بشيء

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: كتاب العلم: باب كيفية التفقه في كتاب

الله ٦٩٨/٦، دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٧هـ -

١٩٩٦م، دمشق، وبيروت.

من النفرة، والجفوة الحاصلة بسبب الاختلاف في المعاني والفهوم لزمهم، - والحالة هذه - ترك مجلس التعلم هذا، حتى تعود إلى القلوب حالتها الأولى فلا يستمرون على ما بينهم من الاختلاف فينبت بينهم الشقاق والجدال، والانتصار بالباطل من قبل كل واحد لفهمه لتأييده وإظهار قوة حجته، فينشأ بعد ذلك العدواة والبغضاء، المفضية إلى القتال أو الفتنة، فقد بين صلى الله عليه وسلم - ذلك بقوله: (اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم فإذا اختلفتم فيه فقوموا)^(١).

قال الخطابي: (وقال بعضهم: إنما جاء هذا ليعني الحديث الذي أورده أبو داود في سننه: كتاب السنة: باب النهي عن الجدال في القرآن: ٩/٥: ج (٤٦٠٣) عن أبي هريرة مرفوعاً: "المراء في القرآن كفر" في الجدال بالقرآن في الآي التي فيها ذكر القدر والوعيد وما كان في معناه على مذهب أهل الكلام والجدل، وعلى معنى ما يجري من الخوض بينهم فيها، ودون ما كان منها في الأحكام وأبواب التحليل والتحرير والخطر والإباحة، فإن أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد تنازعوا فيما بينهم وتحاجوا بها عند اختلافهم في الأحكام ولم يتخرجوا عن التناظر بها وفيها، وقد قال سبحانه: ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾^(٢). فلم أن النهي منصرف إلى غير هذا الوجه، والله أعلم)^(٣).

وقال عياض: (قوله: "إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب"

(١) صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن. باب اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم: ٤٣٨/١: ج (٥٠٦١) دار السلام - الرياض ط ٣ سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، موسوعة الحديث الشريف - الكتب الستة، وصحيح مسلم: الموضوع السابق: ج (٢٦٦٧).

(٢) سورة النساء، الآية: ٥٩.

(٣) معالم السنن للخطابي: كتاب السنة: ومن باب النهي عن الجدال في القرآن: ٢٩٧/٤، منشورات المكتبة العلمية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - لبنان.

وقوله: "اقرأوا القرآن ما اختلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فيه فقوموا فهذا مما تعلق به الحشوية ونفاة النظر، ومحملة عند أهل العلم على أن المراد به اختلاف لا يجوز، أو يوقع فيما لا يجوز كاختلافهم في تفسير القرآن، واختلافهم في معان لا يسوغ فيها الاجتهاد، أو اختلاف يوقع في التشاجر والسحناء، وأما الاختلاف في فروع الدين، وتمسك صاحب كل مذهب بالظاهر من القرآن وتأويله الظاهر على خلاف ما تأول صاحبه، فأمر لابد منه في الشرع وعليه مضى السلف، وانقضت الأعصار. وقد يكون أمره - عليه السلام - بالقيام عند الاختلاف في عصره وزمنه، إذ لا وجه للخلاف والتنازع حينئذ لا في حروفه ولا في معانيه، وهو - عليه السلام - حاضر معهم يرجعون إليه في مشكله ويقطع تنازعهم ببيانه^(١).

فقد بين - رحمه الله تعالى - أن الخلاف في القرآن قسمان الأول غير جائز، والثاني: جائز وهو ما كان في فروع الدين، ومفهوم المخالفة يقتضي أن غير الجائز هو ما كان في أصول الدين التي يقوم عليها الإيمان، كالغيب، وما يتعلق بأسماء الله وصفاته واليوم الآخر وما بعده، كما هو مفهوم من كلام الخطابي السابق.

ثم ذكر أن الأمر بالقيام عند حصول الاختلاف يحتمل أن يكون خاصاً بزمنه - صلى الله عليه وسلم - لكن القرطبي في المفهم رجح غيره.

فقال: (يحتمل هذا الخلاف أن يحمل على ما قلناه آنفاً وهو الاختلاف في المعنى وقد سبق في الصفحة السابقة) ثم ذكر كلام القاضي هذا وهو احتمال كون الأمر بالقيام خاصاً بزمن النبوة ثم قال [القرطبي]: ويظهر لي أن مقصود

(١) إكمال المعلم: كتاب العلم: باب النهي عن إتباع متشابه القرآن... ٨/١٦١، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩ هـ، دار الوفاء - المنصورة - مصر.

هذا الحديث الأمر بالاستمرار في قراءة القرآن، وفي تدبره، والزجر عن كل شيء يقطع عن ذلك، والخلاف فيه في حالة القراءة قاطع عن ذلك في أي شيء كان من حروفه أو معانيه، والقلب إذا وقع فيه شيء لا يمكن رده على الفور، فأمرهم بالقيام إلى أن تزول تشويشات القلب، ويستفاد هذا من قوله: "اقرأوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم" فإن القراءة باللسان، والتدبر بالقلب، فأمر باستدامة القراءة مدة تدبر القلب، فإذا وقع الخلاف في تلك الحال انصرف اللسان عن القراءة والقلب عن التدبر، وعلى هذا فمن أراد أن يتلو القرآن فلا يبحث عن معانيه في حال قراءته مع غيره، ويفرد لذلك وقتاً غير وقت القراءة، والله أعلم^(١).

فالهلاك الذي حصل لمن كان قبلنا نتيجة اختلافهم في الكتاب قد حذرناه نبينا - صلى الله عليه وسلم - وهو ما كان في الأصول الواردة في القرآن مما تقصر عقولنا عن إدراكها فيجب التسليم بها دون التعرض لتأويلها أو تحريفها ونحو ذلك.

وفي الباب عن ابن مسعود^(٢) - رضي الله عنه - قال: سمعت رجلاً قرأ آية وسمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ خلفها، فجئت به النبي - صلى الله عليه وسلم - فأخبرته، فعرفت في وجهه الكراهية، وقال: كلاهما محسن، ولا تختلفوا، فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا^(٣).

(١) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم كتاب مسلم: الموضع السابق: ٦/٦٩٩.

(٢) هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي أبو عبد الرحمن أحد السابقين إلى الإسلام وأحد العبادلة الأربعة الأكثر رواية للحديث لازم النبي - صلى الله عليه وسلم - وكان صاحب نعليه، ويعرف بابن أم عبد، وأحد القراء عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - توفي بالمدينة سنة ٣٢ هـ الإصابة، ٦/٢١٤.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأنبياء: باب ٥٤: ٦٢٨/١: ح (٣٤٧٦).

٢ - عن أبي هريرة^(١) - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "دعوني ما تركتكم؛ فإنها أهلك من كان قبلكم سؤالهم، واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم"^(*).

(١) هو الصحابي الجليل المشهور أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي مشهور بكنيته، مختلف في اسمه واسم أبيه كثيراً، وهو أكثر الصحابة رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم - توفي سنة ٥٧هـ وقيل بعدها، الإصابة: ٦٣/١٢.

(*) تخريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الاعتصام: باب الاقتداء بسنن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ٦٠٧/١ ح (٧٢٨٨).
ومسلم في صحيحه: كتاب الحج: باب فرض الحج مرة في العمر: ٩٧٥/٢ ح (١٣٣٧) وفيه ذكر سبب ورود الحديث.
والترمذي في جامعه: كتاب العلم: باب في الانتهاء عما نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم - ٣٢٢/٧ ح (٢٦٨١) وقال: "هذا حديث حسن صحيح" ٥٠١.
وابن ماجه في سننه: المقدمة: كتاب السنة: باب اتباع سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم - ٣/١ ح (٢).

سبب ورود الحديث:

تضمن الحديث في صحيح مسلم ذكر سبب ورود الحديث، ففيه: "خطبنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "أيها الناس قد فرض عليكم الحج فحجوا" فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثاً، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - "لو قلت: نعم لو جيت ولما استطعتم" ثم قال: "ذروني ما تركتكم..." الحديث.

فتبين أن نهيه عليه الصلاة والسلام - عن السؤال عما تركه كان بسبب استئصال رجل من القوم عن ذلك، وأورد الخطيب البغدادي أن الرجل الذي سأل هو الأقرع به حابس التميمي ثم أورد الحديث بإسناده إلى مسند أحمد بإسناده عن ابن عباس أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله كتب عليكم الحج"، فقال الأقرع بن حابس: يا رسول الله أفي كل عام؟ قال: "بل حجة، ولو قلت نعم لو جيت".
الأسماء: المبهمة في الأبناء المحكمة للخطيب البغدادي: ١٣/١ ح (٦١) الطبعة الأولى بمطبعة المدني - القاهرة - مصر.

ونذكره أيضاً أبو زرعة العراقي في كتابه: المستفاد من مبهمات المتن والإسناد وذكر أيضاً آخرين وردت الرواية بأنهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم - ذلك ومنهم سراقه بن مالك، وعكاشة بن محصن.

المستفاد من مبهمات المتن والإسناد لأبي زرعة العراقي. كتاب الحج ٥٨٥/١ ح (٢٢١) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م بدار الوفاء - المنصورة - مصر.

يبين لنا هذا الحديث موردًا من موارد الهلاك وسببًا من أسبابه وهو السؤال عما سَكَتَ عنه والاختلاف على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيما بينوه فإنه ينبغي للمسلم أن يتجنب السؤال عما كان واضحًا بيّنًا، أو ما كان الكلام دالًّا على تحققه وامتناله بأقل قدر يمكن ويحقق الامتنال.

قال القرطبي: (قوله: نروني ما تركتكم" يعني: لا تكثرُوا من الاستفصال عن المواضع التي تكون مفيدة بوجه ما ظاهر وإن كانت صالحة لغيره، وبيان ذلك أن قوله: "فحجوا" وإن كان صالحًا للتكرار فينبغي أن يكتفي بما يصدق عليه اللفظ، وهو المرة الواحدة فإنها مدلوله للفظ قطعًا، وما زاد عليها يتغافل عنه، ولا يكثر السؤال فيه لإمكان أن يكثر الجواب المترتب عليه فيضاهي ذلك قصة بقرة بني إسرائيل التي قيل لهم فيها: اذبحوا بقرة، فلو اقتصروا على ما يصدق عليه اللفظ. وبادروا إلى ذبح بقرة - أي بقرة كانت - لكانوا ممتثلين، لكن لما أكثرُوا السؤال كثر عليهم الجواب، فشددوا فشدد عليهم، فذمُّوا على ذلك، فخاف النبي - صلى الله عليه وسلم - مثل هذا على أمته ولذلك قال: "فإنها هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم" وعلى هذا يحمل قوله: "فإذا أمرتكم بشيء فانتوا منه ما استطعتم" يعني بشيء مطلق، كما إذا قال: صم، أو صل، أو تصدق. فيكفي من ذلك أقل ما ينطلق عليه الاسم فيصوم يومًا، ويصلي ركعتين، ويتصدق بشيء يُتَصَدَّقُ بمثله، فإن قيد شيئًا من ذلك بقيود، ووصفه بأوصاف لم يكن بد من امتثال أمره على ما فصل وقيد وإن كان فيه أشد المشقات، وأشق التكاليف، وهذا مما لا يختلف فيه إن شاء الله تعالى أنه هو المراد بالحديث (١) هـ.

(١) المفهم لما أشكل من صحيح مسلم لأبي العباس القرطبي: كتاب الحج: باب فرض

الحج مرة في العمر: ٤٤٧/٣: ح (١١٩٥)

وفصل البغوي في المسألة وذكر أن فيها وجهين أحدهما: ما إذا كان السؤال لغرض التبين والتعلم فهو جائز، وثانيهما: إذا كان للتكلف ونحوه وهو المنهي عنه فقال (المسألة وجهان أحدهما: ما كان على وجه التبين والتعلم فيما يحتاج إليه من أمر الدين، فهو جائز مأمور به، قال الله تعالى: ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ [النحل: ٤٣] وقال الله تعالى: ﴿فاسأل الذين يقرأون الكتاب من قبلك﴾ [يونس: ٩٤] وقد سألت الصحابة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مسائل فأنزل الله سبحانه وتعالى ببيانها في كتابه كما قال الله عز وجل: ﴿يسألونك عن الأهلة...﴾ [البقرة: ١٨٩]، ﴿يسألونك عن المحيض﴾ [البقرة: ٢٢٢]، ﴿يسألونك عن الأنفال﴾ [الأنفال: ١] والوجه الآخر: ما كان على وجه التكلف فهو مكروه فسكوت صاحب الشرع عن الجواب في مثل هذا زجر وردع للسائل فإذا وقع الجواب كان عقوبة وتغليظاً) ١.هـ^(١).

قلت: والهلاك الناتج عن كثرة السؤال لعله يكون في الإعراض عن التكليف أو عدم الانقياد لها. لأنه كلما كثر التفصيل في الأمر الذي يسأل عنه اشتد الضيق على السائل فيتبرم ويترك فيكون حينئذٍ أعرض أو ترك المنهج الشرعي في هذا الأمر فيهلك بالعذاب في الآخرة أو بالعقوبة في الدنيا، وفي الحديث عن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن أعظم المسلمين جرماً من سأل عن شيء، لم يحرم فحرم من أجل مسألته" ١.هـ^(٢).

قال القرطبي: (والجرم والجريمة: الذنب، وهذا صريح في أن السؤال

(١) شرح السنة: كتاب العلم: باب طرح المسألة على الأصحاب ليختبر ما عندهم من العلم: ٣١٠/١ - ٣١١، ح (١٤٤)، الطبعة الأولى. ١٣٩٠هـ - ١٩٧١م - المكتب الإسلامي.

(٢) صحيح البخاري: كتاب الاعتصام: باب ما يكره من كثرة السؤال، ومن تكلف مالا يعنيه... ٦٠٧/١: ح (٧٢٨٩) وصحيح مسلم كتاب الفضائل: باب توقيره - صلى الله عليه وسلم - وترك إكثار سؤال عما لا ضرورة إليه... ١٨٣١/٤: ح (٢٣٥٨).

الذي يكون على هذا الوجه ويحصل للمسلمين عنه هذا الجرح هو من أعظم الذنوب والله تعالى أعلم) ١. هـ^(١).

• المبحث الثاني: من كتاب المناسك:

٣ - عن ابن عباس - رضي الله عنهما^(٢) - قال: قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - غداة العقبة - وهو على راحلته - "هات القط لي" فلقطت له حصيات هي حصى الخذف، فلما وضعتن في يده قال: "بأمثال هؤلاء وإياكم والغلو في الدين؛ فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو"^(٣) في الدين"^(٤).

(١) المفهم للقرطبي: كتاب النبوات: باب ترك الإكثار من مسألة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ١٦٦/٦ : ح (٢٢٧٠).

(٢) هو الصحابي الجليل المشهور أبو العباس عبد الله بن العباس بن عبد المطلب ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ترجمان القرآن، ولد أيام حصار بني هاشم في الشعب، وتوفي الرسول - صلى الله عليه وسلم - وله ثلاث عشرة سنة، سكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨ هـ وكان قد عمي رضي الله عنه، الإصابة ١٣٠/٦.

(٣) الغلو: قال ابن الأثير: هو التشدد في الدين ومجاوزة الحد، وقيل معناه: البحث عن بواطن الأشياء والكشف عن عللها وغوامض متعبداتها أ.هـ. بتصرف، النهاية لابن الأثير : ٣٨٢/٣ مادة (غلا).

(*) تخريج الحديث:

أخرجه النسائي في سننه الصغرى (المجتبى) كتاب المناسك: النقاط حصى الرمي: ٢٩٦/٥ : ح (٣٠٥٧).

وابن ماجه في سننه: كتاب المناسك: باب قدر حصى الرمي: ١٠٠٨/٢ : ح (٣٠٢٩). وأحمد في المسند: ٢٥٧/٣ : ح (١٨٥١) بتحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار المعارف بمصر سنة ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.

وابن خزيمة في صحيحه: كتاب المناسك، باب النقاط الحصى لرمي الجمار من مزدلفة، ٢٧٤/٤ : ح (٢٨٦٧) الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م شركة الطباعة العربية السعودية المحدودة - الرياض.

والحاكم في المستدرک: كتاب المناسك: رمي الجمار ومقدار الحصى: ٤٦٦/١ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي في التلخيص بهامشه، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

وأبو يعلى في مسنده: ٣١٦/٤ : ح (٢٤٢٧) الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م دار المأمون للتراث دمشق، وبيروت.

يبرز لنا هذا الحديث سبباً آخر من أسباب هلاك من سبقونا ألا وهو الغلو والتشدد في الدين نتيجة التعمق فيه، إجهاداً للنفس وإثقالاً عليها فوق طاقتها حتى تخرج عن وضعها الطبيعي فلا تطيق الاستمرار عليه؛ ومن ثم ينتج عن ذلك الهلاك، وهو إما ترك العمل والتقريط فيه حتى يضيع وتترك حدود الله، أو بالزيادة فيه وتجاوز حدود الله، ومن أي الجهتين خرج العامل فقد هلك.

وقد أمر الله تعالى رسوله -صلى الله عليه وسلم- بلزوم الطريق التي أمره بها، ونهاه عن الطغيان عليها، فقال تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير﴾^(١) قال في معالم التنزيل: قوله عز وجل: ﴿فاستقم كما أمرت﴾ أي استقم على دين ربك والعمل به، والدعاء إليه كما أمرت، (ومن تاب معك) أي ومن آمن معك فليستقيموا... (ولا تطغوا) لا تجاوزوا أمري ولا تعصوني، وقيل معناه: ولا تغلوا تزيدوا على ما أمرت ونهيت^(٢) أ. هـ.

ودين الله تعالى وسط بين طرفين بين الغالي فيه والجافي عنه وطريق الإسلام وسط بين طريق اليهود وطريق النصارى، وقد قال تعالى: ﴿أمدنا الصراط المستقيم﴾ صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين^(٣).

(١) سورة هود، الآية رقم (١١٢) .

(٢) معالم التنزيل للبغوي ٢٠٣/٤ طبعة دار طيبة سنة ١٤١١ هـ - الرياض.

(٣) سورة الفاتحة، الآية رقم (٦، ٧) .

قال جماهير من علماء التفسير "المغضوب عليهم" اليهود و(الضالين) النصراني...^(١).

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم أنه نهى أهل الكتاب عن الغلو في الدين فقال: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ...﴾^(٢).

ينهي تعالى أهل الكتاب عن الغلو والإطراء، وهذا كثير في النصراني، فإنهم تجاوزوا الحد في عيسى عليه السلام حتى رفعوه فوق المنزلة التي أعطاه الله إياها، فنقلوه من حيز النبوة، إلى أن اتخذوه إلها من دون الله يعبدونه كما يعبدونه، بل قد غلوا في أتباعه وأشياعه ممن زعم أنه على دينه فادّعوا فيهم العصمة، واتبعوهم في كل ما قالوه سواء كان حقاً أو باطلاً، أو ضلالاً أو رشاداً، أو صحيحاً أو كذباً، ولهذا قال الله تعالى "اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله"^(٣)....^(٤).

وقال تعالى أيضاً: "قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل"^(٥).

وكرر القرآن نهيمهم في هذه الآية عن الغلو أيضاً: أي لا تفرطوا كما

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ محمد الأمين الشنقيطي، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م - دار الأندلس الخضراء - جدة - السعودية.

(٢) سورة النساء، الآية رقم (١٧١).

(٣) سورة التوبة، الآية رقم (٣١).

(٤) تفسير بن كثير ٧٨٤/١ سورة النساء آية رقم (١٧١) الطبعة الأولى ١٤١٤هـ -

١٩٩٤م مكتبة دار الفحاء: دمشق - سوريا.

(٥) سورة المائدة، الآية رقم (٧٧).

أفرطت اليهود والنصارى في عيسى، غلوّ اليهود قولهم في عيسى ليس ولد رِسْدَة وغلُوّ النصارى قولهم: إنه إله، والغلو مجاوزة الحد^(١).

ومما يبين الهلاك الوارد بسبب الغلو ومجاوزة الحد قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : "هلك المتطعون" قالها ثلاثاً^(٢).

وهم المتعمقون المغالون المجاوزون الحدود في أقوالهم وأفعالهم^(٣).

قلت حذرنا النبي - صلى الله عليه وسلم - من الغلو في الدين الذي كان سبباً من أسباب هلاك من قبلنا، وأمرنا بأن نأخذ بالأخف والأسهل والأيسر ونستمر عليه فلا نكل ولا نمل فقال صلى الله عليه وسلم: "إن هذا الدين يُسر، ولن يشاد الدين أحدٌ إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"^(٤). وفي رواية "والقصد، القصد، تبلغوا"^(٥). قال في فتح الباري: والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية، ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب"^(٦). ١. هـ.

وقد وجد في هذه الأمة من فيه شبه من أهل الكتاب، وقال ابن تيمية: (ولهذا كان السلف كسفان بن عيينة وغيره يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى)^(٧). ١. هـ.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٢٥٢/٦، طبعة درا الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

(٢) صحيح مسلم: كتاب العلم باب هلك المتطعون: ٢٠٥٥/٤ ح (٢٦٧٠).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: ٢٢٠/١٦.

(٤) رواه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الدين يسر: ٥/١ ح (٣٩).

(٥) صحيح البخاري: كتاب الرقاق: باب القصد والمداومة على العمل.

(٦) فتح الباري: ٩٤/١.

(٧) اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، ص ٥، مطابع المجد التجارية.

وهل حصل ما حصل من قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، ومقاتلة أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وما تلا ذلك من حوادث وحروب إلا بسبب الغلو في تأويل القرآن الكريم والاختلاف في مفهوم الإيمان ونتج عن ذلك أن قابل هؤلاء المقاتلين غيرهم بتأويل مضاد ومنهج معاكس لهم فاستمر القتل في أمة الإسلام واستحرّ إلى زمننا هذا، وكان أول هؤلاء المتأولين الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب كفرًا ينقل عن الملة فكفروا الصحابة رضي الله عنهم وقاتلوا عليًا رضي الله عنه وقابلهم الشيعة الذين تشيعوا له وكفروا بعض الصحابة أيضًا وحصل القتال بين أتباع كلا الفريقين وذلك الذي أراده أعداء الإسلام والمسلمين^(١).

فالخوارج في طرف التشدد والإفراط قالوا: بتكفير المسلم بكل ذنب، أو بكل ذنب كبير، وقابلهم في الطرف الآخر المرجئة فأخذوا بالتقريط والتقلت فقالوا: لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة، فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف^(٢).

(١) الشريعة لأبي القاسم محمد بن الحسين الأجرى: باب ذم الخوارج وسوء مذاهبهم وإباحة قتالهم، وثواب من قتلهم أو قتلوه: ٩٠/١ الطبعة الثالثة ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م دار الهدى - المنصورة.

وكتاب الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق، ص ٦٣ وما بعدها، الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان.

(٢) شرح العقيدة الطحاوية - بتصرف يسير - ١ - ٤٣٤/٢: الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م - مؤسسة الرسالة - بيروت - لبنان. بتحقيق د/عبد الله التركي، وشعيب الأرناؤوط.

• المبحث الثالث: من كتاب العلود:

٤ - عن عائشة^(١) رضي الله عنها - أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: ومن يكلم فيها رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد^(٢) حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ؟ فكلمه أسامه، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أتشفع في حد من حدود الله؟" ثم قام فاختطب ثم قال: "إنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها" ١. هـ^(٣).

(١) هي أم المؤمنين أم عبد الله زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم - لم يتزوج بكراً سواها ولا نزل الوحي عليه وهو في لحاف امرأة غيرها، وفضلها معروف وفضائلها كثيرة، توفيت ودفنت في المدينة سنة ٥٨ هـ، الإصابة في تمييز الصحابة: لابن حجر العسقلاني، ٣٨/١٣.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة الكلبى حب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وابن حبه، أمه أم أيمن حاضنة النبي - صلى الله عليه وسلم - ، درج في بيته وأردفه معه على حماره، وأمره على جيش يسير إلى الشام قبيل وفاته ثم سيّره الصديق بعد ذلك، توفي أسامة بعد سنة ٥٤ هـ. أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير: ٧٩/١، مطبعة الشعب، القاهرة، مصر.

(*) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: في كتاب أحاديث الأنبياء: ٥٤ باب: بعد باب حديث الغار: ٢٨٤/١ ح (٣٤٧٥) وفي ح (٤٣٠٤) وفي آخره (ثم أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك، وتزوجت، قالت عائشة فكانت تأتيني بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -) ١ - هـ. وفي مواضع أخرى مطولة كهذا ومختصرة. ومسلم في صحيحه: كتاب الحدود: باب إقامة الحدود على الشريف والوضيع:

٩٧٦/١ ح (١٦٨٨/٨).

هذا الحديث يطل علينا وهو يلوح بسبب آخر من أسباب هلاك من قبلنا وهو الظلم والجور في إقامة الحدود على الناس.

لكن هل هذا كان محصوراً في حد السرقة أم يشمل غيره؟

قال ابن دقيق العيد: (ولفظه "إنما" ههنا دالة على الحصر، والظاهر أنه ليس للحصر المطلق، مع احتمال ذلك، فإن بني إسرائيل كانت فيهم أمور كثيرة تقتضي الإهلاك، فيحمل ذلك على حصر مخصوص، وهو الإهلاك بسبب المحاربة في حدود الله، فلا ينحصر ذلك في هذا الحد (المخصوص) أ.هـ^(١)).

ونقل ابن حجر كلام ابن دقيق العيد هذا ثم أعقبه بقوله: (يؤيد هذا الاحتمال ما أخرجه أبو الشيخ في كتاب السرقة من طريق زاذان عن عائشة مرفوعاً: أنهم عطلوا الحدود عن الأغنياء وأقاموها على الضعفاء) أ.هـ^(٢).

قلت: ربما فهم ابن حجر - رحمه الله تعالى - من قوله: "عطلوا الحدود" عموم الحدود فلم ينحصر التعطيل في حد السرقة حسب، والله أعلم.

فإنهم قد عطلوا حد الزاني المحصن، ودليل ذلك ما رواه مسلم في صحيحه من طريق البراء بن عازب - رضي الله عنه - قال: (مرُّ على

(١) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام: كتاب الحدود: باب حد السرقة: ٣٧٣/٤، طبعة "المكتبة السلفية سنة ١٣٧٩هـ، بالقاهرة - مصر.

(٢) فتح الباري: كتاب الحدود: باب كراهة الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان: ١١٥/١٢، الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، دار السلام للنشر والتوزيع - الرياض - السعودية.

النبي - صلى الله عليه وسلم بيهودي مُحَمَّماً مجلوداً، فدعاهم - صلى الله عليه وسلم - فقال: "هكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قالوا: نعم، فدعا رجلاً من علمائهم فقال: "أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى أهكذا تجدون حد الزاني في كتابكم؟" قال: لا. ولولا أنك نشدتي بهذا لم أخبرك، نجده الرجم، ولكنه كثر في أشرافنا فكنا إذا أخذنا الشريف تركناه، وإذا أخذنا الضعيف أقمنا عليه الحد، قلنا تعالوا فلنجتمع على شيء نقيمه على الشريف والوضيع، فجعلنا التحميم والجلد، مكان الرجم، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه" (١) هـ. ١.

فهذا الحديث يبين أنهم غيروا وبدلوا في حد الزنى كما فعلوا في حد السرقة، وبهذا، يظهر - والله أعلم - عدم اختصاص هلاكهم بما غيروه في حد السرقة، كما مضى، بل إنهم تركوا إقامة الحدود على الأشراف والأغنياء وأقاموها على الضعفاء والسوقة، فلما كثر في الأغنياء غشيان الزنى وتفشى فيهم اجتمعوا وابتدعوا عقوبة تكون حداً وهي الجلد والتحميم وهو تسويد الوجه بالرماد المخلوط بالماء الحار وكان هذا مخالفاً لما أنزل الله في كتابه.

وفعلهم هذا فيه طغيان واعتداء على الألوهمية مرتين وذلك أن الواجب عليهم الانقياد لله بتطبيق الحدود لكنهم عصوا وعطلوا، ولم يقتصروا على ذلك بل وضعوا من عند أنفسهم وشرعوا لهم حداً غير ما أنزله الله وعملوا به.

(١) صحيح مسلم: كتاب الحدود: باب رجم اليهود أهل الذمة في الزنى: ١٣٢٦/٣.

ومما يشير إلى ذلك التغيير في دين الله قوله تعالى: ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله...﴾^(١). ومما ورد في تفسيرها ما رواه الطبري وغيره من طريق عدي بن حاتم - رضي الله عنه - أنه قال (أتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفي عنقي صليب من ذهب، فقال: يا عدي اطرح هذا الوثن من عنقك! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في "سورة براءة" فقرأ هذه الآية: ﴿اتخذوا أخبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله﴾ قال: قلت يا رسول الله إنا لسنا نعبدكم فقال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه، ويحلون ما حرم الله فتحلون؟ قال: قلت. بلى! قال: فتلك عبادتهم^(٢).

فقد بين هذا الحديث أن طاعتهم في تحليل الحرام وتحريم الحلال تعتبر عبادة، ومن ذلك تغيير الحدود، وربما كان تغييرهم حد الزاني المحصن بعقوبة أخف بكثير من المنزل في الكتاب دعاهم إلى الاستخفاف بذلك فكثرت فيهم الزنى ونتج عن كثرتهم الموت والهلاك عقوبة لهم ففي موطأ مالك عن ابن عباس موقوفاً (ما ظهر الغلول في قوم قط إلا ألقى في قلوبهم الرعب، ولا فشا الزنى في قوم قط إلا كثرت فيهم الموت، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم القطر ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم، ولا خفر قوم بالعهد إلا سلط عليهم العدو)^(٣).

(١) سورة التوبة، آية: ٣١.

(٢) تفسير الطبري، بتحقيق محمود شاكر، ٢١٠/١٤، وجامع الترمذي: أبواب تفسير القرآن: من سورة التوبة: ٢٤٨/٨ ح (٣٠٩٤) وقال: هذا حديث غريب لا تعرفه إلا من حديث عبد السلام بن حرب، وغطيف بن أعين ليس بمعروف في الحديث ١. هـ.

(٣) موطأ مالك: كتاب الجهاد: باب الغلول في سبيل الله وما جاء فيه: ٣٦٢/١ ح (٩٢٧) رواية أبي مصعب الزهري، مؤسسة الرسالة، ط ٢ سنة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م، بيروت، لبنان

وفي صحيح ابن حبان، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: "ما ظهر في قوم الزنى والربا إلا أحلوا بأنفسهم عقاب الله جل وعلا^(١)."

• المبحث الرابع: من كتاب البر والصلة:

٥ - عن جابر بن عبد الله^(٢) - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "اتقوا الظلم؛ فإن الظلم^(٣) ظلمات يوم القيامة،

(١) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان: كتاب الحدود: باب الزنى وحده: ٢٥٨/١٠: ح (٤٤١٠) مؤسسة الرسالة، ط ١، سنة ١٤١٢ هـ - ١٩٩١ م، بيروت: لبنان.

(٢) هو الصحابي الجليل أبو عبد الله جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري السلمي، أحد المكثرين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو آخر الصحابة موتاً في المدينة، توفي سنة ٧٨ هـ، الإصابة في تمييز الصحابة: ٤٥/٢.

(٣) قال ابن الأثير: أصل الظلم الجور ومجاوزة الحد. أ. هـ. النهاية في غريب الحديث والأثر: ١٦١/٣ مادة (ظلم). وقال الرازي: وأصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه. أ. هـ. مختار الصحاح: ٤٠٧/١ طبعة سنة ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، مكتبة لبنان بيروت، لبنان، تحقيق محمود خاطر.

وقال العسكري: وأصل الظلم نقصان الحق، والجور، والعدول عن الحق، من قولنا: جار عن الطريق: إذا عدل عنه، وخلف بين النقيضين فقيس في نقيض الظلم: الإنصاف، وهو إعطاء الحق على التمام، وفي نقيض الجور: العدل، وهو العدول بالفعل إلى الحق. أ. هـ.

معجم الفروق اللغوية للعسكري: ص ٢٢٦. الطبعة الرابعة سنة ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، نشر دار الأفاق الجديدة - بيروت - لبنان، تحقيق لجنة التراث العربي. قلت: ذلك معناه اللغوي، أما الشرعي فقال العيني: ومعناه الشرعي: وضع الشيء في غير موضعه الشرعي، وقيل: التصرف في ملك الغير بغير إذنه. أ. هـ.

عمدة القارئ: كتاب المظالم والغصب: ٣٠٠/١٠ الطبعة الأولى سنة ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م مطبعة مصطفى الحلبي - القاهرة - مصر.

قال ابن الأثير: الشح: أشد البخل، وهو أبلغ من البخل، وقيل هو البخل مع الحرص، وقيل البخل في أفراد الأمور وآجادها، والشح عام، وقيل: البخل بالمال، والشح بالمال، والمعروف، يقال: شح يشح فهو شحيح، والإسهم: الشح. أ. هـ. النهاية في غريب الحديث والأثر: ٤٤٨/٢ مادة "شح".

وقال القرطبي: قوله: "واتقوا الشح...." الشح الحرص على تحصين ما ليس عندك، والبخل الامتناع عن إخراج ما حصل عندك، وقيل إن الشح هو البخل مع حرص. أ. هـ.

المفهم لما أشكل من صحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم والتحذير منه: ٥٥٧/٦.

وانقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم" (١٠).

يحمل هذا الحديث بين جوانحه سبباً آخر من أسباب الهلاك وهو الذي دمر الأمم السابقة. ألا وهو الظلم وهو عام، والشح وهو خاص بالأموال وهو نوع من الظلم.

قال ابن الجوزي: (اعلم أن الظلم يشتمل على معصيتين عظيمتين:

أحدهما: أخذ مال الغير بغير حق، والثانية: مبارزة الأمر بالعدل بالمخالفة وهذه المعصية أدهى، لأنه لا يكاد يقع الظلم إلا للضعيف الذي لا يقدر على الانتصار إلا بالله عز وجل، وإنما ينشأ الظلم من ظلمة القلب، ولو استتار بنور الهدى لنظر في العواقب، فإذا سعى المتقون بنورهم الذي اكتسبوه في الدنيا من النقوى ظهرت ظلمات الظالم فاكتنفته حيث لا يغني عنه ظلمه شيئاً (١١).

وقال القاضي عياض: قوله: "الظلم ظلمات يوم القيامة" قبل: هو على ظاهره أنه ظلمات على صاحبه حتى لا يهتدي يوم القيامة سبيلاً حيث يسعى

(*) تخريج الحديث: أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم

١٩٩٦/٤، ح (٢٥٧٨/٥٦).

وأحمد في المسند: ٣/٣٢٣.

والبخاري في الأدب المفرد: باب الظلم ظلمات: ص ١٧٠، ح (٤٨٣)، الطبعة

الثالثة، سنة ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م، دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان، تخريج

محمد فؤاد عبد الباقي.

(١) كشف المشكل من حديث الصحيحين: ٦٥٧/١، ح (١٤٧) طبعة دار الوطن سنة

١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م - الرياض - السعودية، تحقيق علي حسين البواب.

نور المؤمنين بين أيديهم وبأيمانهم، وقد تكون الظلمات هنا الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَنْجِيكُمْ مِنْ ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾^(١). أي شدائدهما، وقد تكون الظلمات هنا عبارة عن الأنكال والعقوبات.

قوله: "وانقوا الشح فإن الشح أهلك من قبلكم" يحتمل أن هذا الهلاك هو الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم، ويحتمل أنه هلاك الآخرة^(٢).

وذكر النووي كلام عياض هذا ثم قال: (وهذا الثاني أظهر، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة^(٣)).

وقال القرطبي: قوله "حملهم على أن سفكوا دماءهم..." هذا هو الهلاك الذي حمل عليه الشح لأنهم لما فعلوا ذلك اتلفوا دنياهم وأخراهم، وهذا كما قال في الحديث الآخر: "إياكم والشح فإنه أهلك من كان قبلكم أمرهم بالبخل فبخلوا..." [هو الحديث التالي بعد هذا]، أي حملهم على ذلك^(٤).

قلت: فهذا الحديث يعرض سبباً آخر من أسباب هلاك من قبلنا وهو ما يتعلق بالجانب المالي المادّي، فإن حرصهم على المال جمعاً ومنعاً تسبب في إتيانهم أموراً نتج عنها إراقة الدماء واستباحة الأعراض وقطيعة الرحم.

وقد حذرنا الله تعالى على لسان رسول - صلى الله عليه وسلم - من الجري وراء المال والدنيا، والإعراض عن الجانب التعبدي فيهما، ومن ذلك

(١) سورة الأنعام، الآية: ٦٣.

(٢) إكمال المعلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم: ٤٨/٨: ح (٢٥٧٨).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب البر والصلة: باب تحريم الظلم: ١٦/١٣٤.

(٤) المفهم: الموضوع السابق.

ما رواه البخاري في صحيحه، من طريق أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعاً مطولاً... "وإن هذا المال خضرة حلوة، ونعم صاحب المسلم لمن أخذه بحقه فجعله في سبيل الله واليتامى والمساكين وابن السبيل، ومن لم يأخذها بحقه فهو كالآكل الذي لا يشبع ويكون عليه شهيداً يوم القيامة^(١).

٦ - عن عبدالله بن عمرو^(٢) - رضي الله عنهما - قال: (خطب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال: "إياكم والشح فإنما هلك من كان قبلكم بالشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا، وأمرهم بالفجور ففجروا^(٣))".^(٤)

(١) صحيح البخاري: كتاب الجهاد: باب فضل النفقة في سبيل الله: ص ٢٢٩: ح (٢٨٤٢) وسيأتي له مزيد بيان في حديث الهلاك بسبب التنافس في الدنيا، رقم (٨).
(٢) سبقت ترجمته في الحديث رقم (١).
(٣) الفجور هو الكذب، والزنا، وغير ذلك من المعاصي، لسان العرب لابن منظور: ٤٦/٥ مادة (فجر) الطبعة الثالثة سنة ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م، دار صادر - بيروت - لبنان.

(*) تخريج الحديث: لسان العرب لابن منظور: ٤٦/٥: مادة فجر، دار صادر، ط ٣، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م. بيروت، لبنان باختصار.
أخرجه أبو داود في سننه: كتاب الزكاة: باب الشح: ١٣٤٩/١: ح (١٦٩٨) والنسائي في سننه الكبرى: كتاب التفسير: سورة الحشر: ٤٨٦/٦: ح (١١٥٨٣) [دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٩م، بيروت لبنان، تحقيق عبد الغفار البنداري وزميله].

وأحمد في المسند: ١٦٠/٢، ١٦١ مطولاً.
وابن حبان الإحسان: كتاب الغضب: ذكر الزجر عن الظلم والفحش والشح ٥٧٩/١١: ح (٥١٧٦) مطولاً.

والحاكم في المستدرک: كتاب الزكاة: كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت: ٤١٥/١ بلفظ أبي داود، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. طبعة دار الكتاب العربي - بيروت - لبنان.

والبيهقي في سننه الكبرى: كتاب الشهادات: باب الشاعر يتسبب بامرأة بعينها ليست مما يحل له وطؤها ٢٤٣/١٠ مطولاً. الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥هـ - مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الركن - الهند.

وهذا الحديث يتقوى بالحديث السابق حديث جابر وموضوعهما واحد وهو أن من أسباب هلاك من قبلنا الظلم والشح.

• المبحث الخامس: من كتاب اللباس والزينة:

٧ - عن حميد^(١) بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية^(٢) بن أبي سفيان عام حج على المنبر وهو يقول: - فتناول قصة من شعر كانت بيد حرسى - فقال: يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - ينهى عن مثل هذه ويقول: "إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم"^(٣).

(١) هو أبو عبد الرحمن حميد بن عبد الرحمن بن عوف القرشي الزهري، روى عن معاوية وابن عباس وابن عمر وغيرهم، متفق على توثيقه، توفي سنة ٩٥هـ، وقيل بعدها، في المدينة.
تهذيب الكمال للمزي: ٣٧٨/٧، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.

(٢) هو الصحابي المعروف، أمير المؤمنين، يعد في مسلمة الفتح، وكان ممن يكتب الوحي للنبي - صلى الله عليه وسلم - ولاء عمر الشام بعد أخيه يزيد ثم صار أميراً للمؤمنين بعد تسليم الحسن بن علي له، توفي سنة ٦٠هـ.
(*) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ٥٤: ٢٨٣/١ ح (٣٤٦٨) وفي كتاب اللباس: باب وصل الشعر: ٥٠٣/١ ج (٥٩٣٢) ومسلم في صحيحه: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم فعل الواصلة ... ١٣٧٩/٣ ج (١٢٢/٢١٢٧) وج (١٢٣/.....) وفيه "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغه فسماه الزور" وأبو داود في سننه: كتاب الترجل: باب صلة الشعر: ٣٩٦/٤ ج (٤١٦٧) الطبعة الأولى سنة ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م - دار الحديث - حمص - سوريا.
والترمذي في جامعه: كتاب الأدب: باب ما جاء في كراهية اتخاذ القصة: ٢١/٨ ح (٢٧٨٢) ثم قال: هذا حديث حسن صحيح. أ. هـ. المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا.

والنسائي في سنة: كتاب الزينة: الوصل في الشعر: ٥٧٠/٨: ح (٥٢٦٠) الطبعة الثانية ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - دار المعرفة - بيروت - لبنان.

قلت: وهذا سبب آخر من أسباب هلاك بني إسرائيل يتعلق بالتزني والتجمل الذي فيه تجاوز عن القصد واعتداء على الخلقة.

قال ابن عبد البر: (يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم: "إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذها نساؤهم" أنه من الأمر الذي لم يَفْسُ في بني إسرائيل ولم يشتهر في نسائهم إلا في حين ارتكابهم الكبائر وإعلانهم المناكر، فكأنها علاقة لا تكاد تظهر إلا في أهل الفسوق والمعاصي، والله أعلم، لا أنها فعلة يستحق من فعلها الهلاك عليها دون أن يجامعها غيرها، وقد يحتمل أن يكون بنو إسرائيل نهوا عن ذلك في كتابهم نهياً محرماً ففعلوا ذلك مع علمهم تحريم ذلك استخفافاً فاستحقوا العقوبة، والذي منع من ذلك بني إسرائيل قد جاء عن نبينا - صلى الله عليه وسلم - مثله من كراهية اتخاذ النساء الشعور المستعارة ووصلهن بذلك شعورهن، وفيه ورد الحديث بلعن الواصلة والمستوصلة والواصلة هي الفاعلة لذلك، والمستوصلة الطالبة أن يفعل ذلك بها... (١) أ. هـ.

قلت: فصل ابن عبد البر - رحمه الله تعالى - الكلام في ذلك فنذكر احتمالات أسباب هلاكهم بهذه الفعلة الشنيعة وهي تزوير الصورة الحقيقية لشكل شعر رأس المرأة فنذكر احتمال تفشي وشيوع عدة منكرات - وهذه منها - بعد أن كانت محصورة في أهل الفسق فشاعت وتفشيت في العامة، فتكون هذه المعصية مشتركة مع عدة معاصٍ أخرى انتشرت بين العامة كذلك فكانت سبباً لهلاكهم.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: ٢١٦/٧، مطبعة فضالة: المحمدية

المغرب، توزيع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بالمغرب.

وذكر احتمالاً آخر هو أن هذه المعصية كانوا منهيين عنا نهياً محرماً، فاستخفوا بها وتجروا عليها مع علمهم تحريم ذلك فعاقبهم الله على استخفافهم بها، والله أعلم.

وقال القاضي عياض: قوله: إنما هلكت بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم "إعلام بتعجيل العقوبة لهم بذلك، قيل: ويحتمل أنه كان محرماً عليهم فعوقبوا باستعماله وهلكوا بسببه، وقيل: يحتمل أن الهلاك كان به وبمجموع غيره مما ارتكبوه، فكان هلاكهم لذلك كله عند ظهور هذا فيهم وزمنه" (١). أ.هـ. وهذا مختصر لما قاله قبله ابن عبد البر، إلا أنه - أي عياض - زاد فائدة مهمة هي قوله: "وفيه معاقبة الكافة بفشو المنكر بين أظهرهم" (٢).

قلت: واختصر ابن حجر السبب في احتمال واحد فقال: (فيه إشعار بأن ذلك كان حراماً عليهم، فلما فعلوه كان سبباً لهلاكهم مع ما انضم إلى ذلك من ارتكابهم ما ارتكبوه من المناهي" (٣). أ.هـ.

ونحو ذلك ذكر العيني (٤).

• البحث السادس: من كتاب الزهد:

٨ - عن عمرو بن عوف (٥) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -

(١) إكمال المعلم: كتاب اللباس والزينة: باب تحريم فعل الواصلة...: ٦٥٨/٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) فتح الباري: كتاب أحاديث الأنبياء: باب ٦: ٥٤/٦٣١: ح (٣٤٨٨).

(٤) عمدة القارئ: كتاب أحاديث الأنبياء: باب...: ١١٠/١٣.

(٥) هو الصحابي الجليل عمرو بن عوف الأنصاري حليف بني عامر، شهد بدرًا وما

بعدها، توفي في خلافة عمر رضي الله عنه، الإصابة، ١٣٢/٧.

بعث أبا عبيدة بن الجراح^(١) إلى البحرين يأتي بجزيته... فسمعت الأنصار بقدمه فوافقت صلاة الصبح مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فلما انصرف تعرضوا له، فتبسم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين رآهم وقال: (أظنكم سمعتم بقنوم أبي عبيدة وأنه جاء بشيء) قالوا: أجل يا رسول الله قال: "فأبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من كان قبلكم فتتافسوها كما تتافسوها^(٢) وتهلككم كما أهلكتهم" ١هـ.^(*)

هذا الحديث يبرز لنا من زاوية أخرى سبباً آخر من أسباب هلاك من

(١) هو الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح القرشي مشهور بكنيته، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وأمين هذه الأمة سيره النبي - صلى الله عليه وسلم - أميراً على اليمن ثم على الشام توفي في طاعون عمواس بالشام سنة ١٨هـ، الإصابة ٢٨٥/٦.

(٢) تتافسوها: التنافس من المنافسة وهي الرغبة في الشيء والانفراد به وهو من الشيء النفيس الجيد في نوعه، ونافست في الشيء منافسة ونافساً إذا رغبت فيه، ونفس - بالضم - نفاضة، أي صار مرغوباً فيه، ونفست به - بالكسر - أي بخلت به، ونفست عليه الشيء نفاضة، إذا لم تره له أهلاً. النهاية في غريب الحديث والأثر: مادة: نفس ٩٥/٥.

(*) تخريج الحديث: أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الجزية والموادعة: باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب: ٢٥٥/١: ح (٣١٥٨). وفي كتاب المغازي: باب ١٢: ٣٢٧/١، ٣٢٨: ح (٤٠١٥)، ومسلم في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق: ٤/ ٢٢٧٣، ٢٢٧٤: ح (٢٩٦١) والترمذي في جامعة: أبواب صفة القيامة: باب خوف الرسول - صلى الله عليه وسلم - على أمته أن تبسط لهم الدنيا: ١٦٩/٧: ح (٢٤٦٤).

وابن ماجة في سننه: كتاب الفتن: باب فتنة المال: ١٣٢٤/٢: ح (٣٩٩٧).

قبلنا وهو الافتتان بالمال ونحوه وإن كان عبر عنه بالدنيا لأنه أعظم ما يطلب فيها وغيره تبع له.

والهلاك المذكور في الحديث المراد به الموت الناتج عن النفاث بسبب التنافس في الدنيا والمال.

قال الحافظ ابن حجر: (قوله: "فتهلككم" أي لأن المال مرغوب فيه فترتاح النفس لطلبه. فتمنع منه، فتقع العداوة المقتضية للمقاتلة المفضية إلى الهلاك) ١.هـ.

وفي الحديث ما يشير إلى أن التنافس في الدنيا قد يجر إلى الإضرار بالدين والتأثير عليه، يدل على ذلك الحديث الذي رواه مسلم بعد هذا الحديث مباشرة برقم (٢٩٦٢)، بإسناده عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم أنه قال: "إذا فتحت عليكم فارس والروم أي قوم أنتم؟" قال عبد الرحمن بن عوف. نكون كما أمرنا الله، قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : "أو غير ذلك؟ فتتافسون ثم تتحاسدون، ثم تتدابرون، ثم تتباغضون، أو نحو ذلك، ثم تتطلقون في مساكين المهاجرين فتجعلون بعضهم على رقاب بعض" ١.هـ.

قال النووي: (قال العلماء: التنافس إلى الشيء المسابقة إليه. وكراهة أخذ غيرك إياه، وهو أول درجات الحسد، وأما الحسد فهو تمنّي زوال النعمة عن صاحبها، والتدابير التقاطع، وقد بقي مع التدابير شيء من المودة، أو لا يكون مودة ولا بغض، وأما التباغض فهو بعد هذا، ولهذا رتب في الحديث...) ٢.هـ.

(١) فتح الباري: كتاب الرقاق: باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها: ٢٩٥/١١.

(٢) شرح النووي على صحيح مسلم: كتاب الزهد: ٩٦/١٨، ٩٧.

قلت: ولا ينحصر المراد بالهلاك في هذا الحديث الناتج عن التنافس في الدنيا في القتال، بل يشمل الموت الناتج عن كثرة الأمراض بسبب تنوع المأكولات والمشروبات، وتتبع أمور الترفيه والحرص عليها، وهذا نتيجة كثرة المال والذي ينظر اليوم إلى حال الناس يجد أن أكثرهم مالا وجدة هم أكثرهم أمراضا عضوية ونفسية، فكثر الموت بسبب هذه الأمراض كالسكري، وارتفاع ضغط الدم وجلطة المخ وغيرها.

وهناك ظاهرة أخرى وهي كثرة السيارات نتيجة لتوفر المال وهي في الأصل نعمة من نعم الله على البشرية كلها لكنها أساءت استخدامها فكثر الحوادث بسببها وأدت إلى كثرة موت الفجأة بكثرة .

وغير ذلك من الأمور التي جلبت للأمة بسبب وجود المال.

وفي الباب عن عقبة^(١) بن عامر - رضي الله عنه - قال: - سول الله - صلى الله عليه وسلم - على قتلى أحد ثم صعد المنبر كالمودع للأحياء والأموات فقال: "إني فرطكم على الحوض، وإن عرضه كما بين أيلة إلى الجحفة، إني لست أخشى عليكم أن تشركوا بعدي، ولكني أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها، وتقتلوا فتهلكوا كما هلك من كان قبلكم"^(٢).

(١) هو الصحابي الجليل عقبة بن عامر بن عيس الجهني المشهور، كان قارئاً عالمًا بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعراً كاتباً، شهد الفتوح، وأمره معاوية على مصر، توفي سنة ٥٨هـ، وقيل غير ذلك، الإصابة ٢١/٧ و ٢٢.

(٢) صحيح مسلم: كتاب الفضائل: باب إثبات حوض نبينا - صلى الله عليه وسلم - وصفاته ١٧٩٦/٤: ح (٢٢٩٦).

• الخاتمة:

لقد قضيت وقتاً غير يسير في تتبع أحاديث هذا البحث - وهي لا يجمعها باب واحد من العلم، أو مؤلف من المؤلفات - فخلصت إلى النتائج الآتية:

- ١- أهمية دراسة السنة النبوية والاهتمام بها في حياتنا العلمية والعملية.
- ٢- رافة نبينا - صلى الله عليه وسلم - بأمره إذ حذرنا مما هلك بسببه الأمم السابقة.
- ٣- حرص علماء الأمة - وبالأخص السابقين منهم - على بيانها وشرحها بصورة واضحة مفصلة تُسهّل على طالب العلم الوصول إلى ما يصبو إليه دون عناء أو عنت.
- ٤- لزوم استنهاض همم الدعاة والعلماء وطلبة العلم بتجلية مثل هذه الأسباب السابقة التي هلك بسببها الأمم.
- ٥- إن المخالفات التي أشارت إليها الأحاديث هي:
 - اختلافهم في فهم معاني الكتاب المنزل من عند الله.
 - اختلافهم في الاستجابة للأنبياء.
 - الغلو والتشدد في الدين.
 - عدم المساواة في تطبيق الحدود.
 - البخل والظلم.
 - الإسراف في الزينة.
 - الفتنة بالمال والتنافس على الدنيا.

٦- ظهر لي - حسب فهمي وقراءتي - إن تلك المخالفات في الأمم السابقة كانت سبباً في هلاكهم ليس لأنها مجرد معاصٍ فحسب، ولكن لأن فيها اعتراضاً على شرع الله تعالى وتبديلاً له فانقلبت إلى ما أخرجهم من الكبيرة إلى الكفر الذي استحقوا بسببه العقوبة في الدنيا.

٧- وقع في أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - مثل تلك المعاصي لكن لم يحل بها الهلاك إمّا لأنها لم تخرجها إلى الكفر وإمّا لأن الله تعالى قد قال: (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ، وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون)^(١)، والله أعلم.

والحمد لله أولاً وآخراً

(١) الآية رقم ٣٣ من سورة الأنفال .

• المصادر والمراجع:

- ١- الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان للإمام ابن حبان، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت، لبنان.
- ٢- إحكام الأحكام لابن دقيق العبد طبعة سنة ١٣٧٩هـ المكتبة السلفية - القاهرة - مصر.
- ٣- الأدب المفرد للإمام البخاري الطبعة الثالثة، سنة ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م دار البشائر الإسلامية - بيروت - لبنان.
- ٤- الاستيعاب لابن عبد البر بهاش، الإصاغة لابن حجر.
- ٥- أسد الغابة في معرفة الصحابة لعز الدين بن الأثير، مطبعة الشعب - القاهرة - مصر.
- ٦- الأسماء المبهمة في الأنباء المحكمة للخطيب البغدادي ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ - مطبعة المدني - القاهرة - مصر.
- ٧- الإصاغة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م، مطبعة الفجالة الجديدة - القاهرة - مصر.
- ٨- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشيخ الشنقيطي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٣م.
- ٩- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم للإمام ابن تيمية - مطابع المجد التجارية
- ١٠- إكمال المعلم شرح مختصر صحيح مسلم للقاضي عياض الطبعة الأولى، سنة ١٤١٩هـ - دار الوفاء - المنصورة - مصر.
- ١١- تفسير القرى، العظيم للإمام ابن الأثير الدمشقي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م مكتبة دار الفحاء - دمشق سوريا.

١٢- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد للإمام ابن عبد البر، مطبعة فضالة - المحمدية - المغرب، توزيع وزارة الأوقاف.

١٣- جامع الترمذي للإمام الترمذي - المكتبة الإسلامية - استانبول - تركيا.

١٤- جامع البيان في تفسير القرآن، للأمام الطبري، بتحقيق محمود شaker.

١٥- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

١٦- سنن أبي داود للإمام أبي داود السجستاني، الطبعة الأولى، سنة ١٤٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار الحديث - حمص - سوريا.

١٧- السنن الكبرى للإمام البيهقي، الطبعة الأولى سنة ١٣٥٥هـ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر أباد - الهند.

١٨- سنن ابن ماجه للإمام ابن ماجه، طبعة سنة ١٣٩٥هـ - دار إحياء التراث العرب، بيروت - لبنان.

١٩- السنن الكبرى للإمام النسائي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩٩م، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.

٢٠- سنن النسائي الصغرى (المجتبى) للإمام النسائي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٢١- شرح السنة للبغوي الطبعة الأولى سنة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.

٢٢- شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م، مؤسسة الرسالة، بيروت - لبنان.

- ٢٣- شرح النووي على صحيح مسلم للإمام مسلم، الطبعة الأولى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.
- ٢٤- الشريعة للأجري الطبعة الثالثة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م دار الهدى، المنصورة، مصر.
- ٢٥- صحيح البخاري للإمام البخاري، طبعة سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م، (ضمن مجموعة الكتب الستة بإشراف وزير الشؤون الإسلامية)، دار السالم - الرياض، السعودية.
- ٢٦- صحيح ابن خزيمة للإمام ابن خزيمة، الطبعة الثانية سنة ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، شركة الطباعة العربية السعودية، الرياض، السعودية.
- ٢٧- صحيح مسلم للإمام مسلم، الطبعة الثانية، سنة ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م، دار الفكر، بيروت، لبنان.
- ٢٨- عمدة القارئ للعيني، الطبعة الأولى، سنة ١٣٩٢م - ١٩٧٢، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، مصر.
- ٢٩- الغلو في الدين لعبد الرحمن اللويحق، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٣٠- فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر الطبعة الأولى سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م دار السلام - الرياض، السعودية.
- ٣١- كشف المشكل من حديث الصحيحين لابن الجوزي، طبعة سنة ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م دار الوطن، الرياض، السعودية.
- ٣٢- لسان العرب لابن منظور الأفريقي، الطبعة الثالثة، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار صادر، بيروت، لبنان.

- ٣٣- مختار الصحاح للرازي، طبعة سنة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، مكتبة لبنان، بيروت، لبنان.
- ٣٤- المستدرک للإمام الحاكم دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان.
- ٣٥- المستفاد من مبهمات المتن والإسناد لأبي زرعة العراقي، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، دار الوفاء - المنصورة، مصر.
- ٣٦- مسند أحمد للإمام أحمد بن حنبل، الطبعة الرابعة، سنة ١٤٠٣هـ، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان.
- ٣٧- مسند أبي يعلى للإمام أبي يعلى الموصلي، الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م دار المأمون للتراث - دمشق، وبيروت.
- ٣٨- مصباح الزجاجة في زوائد سنن ابن ماجه، للبوصيري، الطبعة الأولى، سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م، دار الجنان للطباعة - بيروت، لبنان.
- ٣٩- معالم التنزيل للإمام النبوي، طبعة دار طيبة سنة ١٤١١هـ - الرياض، السعودية.
- ٤٠- معالم السنن للخطابي، الطبعة الثانية، سنة ١٤٠٢هـ - دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ٤١- المفهم لما أشكل من تلخيص صحيح مسلم أبي العباس القرطبي، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق، سوريا، وبيروت لبنان.
- ٤٢- موطأ مالك للإمام مالك رواية أبي مصعب الزهري، الطبعة الثانية سنة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ٤٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، المكتبة الإسلامية، القاهرة، مصر.